

تطور الاتصال الجوي في الجزائر

أ.لطفى علي قشي أ.د. الطاهر اجفيه

جامعة قسنطينة -3-

ملخص:

شهدت الجزائر منذ الاستقلال تطورات مهمة في النظام السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الإداري وحتى الإعلامي والاتصالي، الأمر الذي كان له الأثر الكبير في تغيير وجهة وسياسة الدولة الجزائرية ومؤسساتها من الناحية التسييرية باستخدامها للعديد من الوسائل الاتصالية التي تستعمل المحيط الجوي الذي تتواجد فيه أداة للتواصل.

إن هذه التطورات اليوم أثبتت ضرورة إدراج الاتصال الجوي في نشاط المؤسسات عامةً ومؤسسات الدولة وهيكلها بشكل خاص كشكل من أشكال التقرب من المواطنين وحثهم على المشاركة في المبادرات المحلية المختلفة سواء المتعلقة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية... إلخ، وتسوية مشاكلهم وتحسين ظروف معيشتهم، والذي يمس خاصة العملية الاتصالية التي تساعد على المعرفة الجيدة بثقافة المحيط التي تُبنى على دعم الاتصال بالمجتمع الجوي.

الكلمات الدالة المفتاحية: الاتصال الجوي، المحيط الجوي، الجزائر، المؤسسات.

Abstract

Since independence Algeria has seen important developments in political, economic, social, administrative and even media and communication system, which had a significant impact in changing vision and policy of the Algerian state and its institutions in terms of management by using many means of communication, that use their local environment as a communication tool. These developments demonstrated the need to include local communication in the activities of the institutions in general and state institutions and its structures in particular, as a form to get closer to citizens and urge them to participate in various local initiatives, whether social, economic and cultural development ... etc, in addition to settle their problems and improve their living conditions, which affect particularly communication process that helps to good knowledge of the environment culture built on supporting communication in local community.

Keywords: local communication, Alegria, Institutions,...etc.

مقدمة:

إن الجزائر كدولة بعد الاستقلال كان لها شعور قوي بمكانة الاتصال بصفة عامة والاتصال المبني على قرب الدولة ومؤسساتها من المواطنين بصفة خاصة نظراً للدور الذي يلعبه هذا الشكل من الاتصال في نشر القيم الإنسانية والاجتماعية بين المؤسسات ومجتمعاتها الجوية وكذلك في التكفل بانشغالات المواطنين وفي التوعية ودفع عجلة التنمية المحلية بالتأثير على الجماهير وتجنيدهم، لذلك عملت الجزائر المستقلة على رسم الأهداف التي ترمي إلى تحقيق مبدأ جوية مؤسساتها وقربها من المواطن.

وقبل أن نستعرض تصنيفاً لتطور الاتصال الجوي في الجزائر لابد من الإشارة إلى أن هذا المصطلح في حقيقته هو مصطلح فيه نوع من الغموض وغير محدد، ولمعرفته لابد من الوقوف على مفهومه وعلاقته ببعض المفاهيم الأخرى.

- تعريف الجوار:

أ- لغة : من الفعل جاور، بجاور، مجاورة، أو تجاوراً، نقول جاور بمعنى ساكن ولاصقه من المسكن وأعطاه ذمة يكون بها جاره، وجاور المسجد أي اعتكف فيه، ويقال جاور المدينة أو مكة وجاور بها.¹

والجوارية اسم مؤنث يحمل معنى القرب في الزمان أو المكان الجوي، يعني قريب.²

أما حالياً فيستخدم المصطلح أيضاً للإشارة إلى العلاقة الخاصة (اللغوية، الثقافية، الدينية، الإيديولوجية، التجارية...) التي نشعر بها ونعيشها، فالأفراد يطلقون على ما هو قريب منهم أحكاماً قيمة تميز بين ما هو مهم بالنسبة لهم وما هو غير مهم، ولذلك فتصور العلاقة الجوارية أو القرية هو تصور تنظيمي يحيل إلى صلات اجتماعية وعلائقية، ولذلك لا يمكن النظر إلى الجوارية من زاوية واحدة، فالجوار لا يعني بالضرورة الشعور بالقرب ولكي يتحول القرب الجسدي أو الزماني إلى قرب محسوس يجب أن يستكمل بعلاقة أخرى (أسرية، دينية، تنظيمية، مؤسساتية، ثقافية... إلخ).³

ب- اصطلاحاً: هي وحدة إقليمية صغيرة تمثل عادة جزءاً فرعياً من مجتمع محلي أكبر منها، ويسودها إحساس بالوحدة أو بالكيان المحلي، وتتميز الاتصالات في جماعة محلية بأنها مباشرة وأولية ووثيقة ومستمرة نسبياً.

- هي جماعة غير رسمية توجد داخل منطقة محدودة، وطبقاً لهذا المعنى يشمل الجوار على الأسر الموجودة داخل المنطقة التي تنشأ بينها علاقة صداقة.⁴

والجوار هو مفهوم يمكن تعريفه وتحديد بطريقتين فيزيقية واجتماعية، فمن الناحية الفيزيكية يشير المصطلح إلى جزء من المدينة يتميز بحدود معينة مثل الطرق العامة أو خطوط السكة الحديدية أو الأنهار أو البحار أو القنوات أو الأرض أو الفضاء، ويسوده نوع من التشابه أو التماثل في النماذج السكانية الموجودة به، أما من الناحية الاجتماعية، يشير المصطلح إلى التشابه الاجتماعي للسكان وبصفة خاصة تشابه الطائفة الاجتماعية والنموذج السكاني.⁵

وقد حاول بعض العاملين في مجالات الخدمة الاجتماعية وتخطيط المدن إدراكاً منهم لما بلغته المدن الحديثة من تعقيد اجتماعي وما ترتب على ذلك من سيطرة العلاقات الثانوية بين الأفراد وإيجاد مجتمعات محلية واعية من الناحية الاجتماعية بتطوير وحدة الجوار، وتشمل في العادة على 5000 نسمة داخل المدن، ويعتبر كلارنس بيرى Clarence J. Berry⁶ أول من استخدم مصطلح الجوار سنة 1923 م عندما أشار إلى قيمة الوحدة المحلية المخططة التي تتوفر فيها بعض المرافق والخدمات المناسبة، كما تقدم أنواع من الشوارع التي تتفق واحتياجات المنشأة، ثم أضاف العاملون في مجال الخدمة الاجتماعية وتنسيق المجتمع بعد ذلك أفكاراً حول مراكز المجتمع المحلي كنقطة محورية تؤدي إلى التوازن والامتزاج الاجتماعي، ويمكن أن نجتمع كل الطبقات الاجتماعية معاً في كل واحدة، ويلاحظ أن هذه المخططات حاولت تقليد ما أمكن تطبيقه في القطاعات الريفية دون أدنى تقدير لرغبة سكان المجتمع الحضري أو ميلهم للامتزاج الاجتماعي، ولهذا لم يعد مفهوم "الجوار" من المفاهيم المفيدة أو المستخدمة في تخطيط المدن.⁷

II - المجتمع الجوّاري:

تعددت تعريفات الباحثين للمجتمع الجوّاري، ونذكر منها ما يلي:

- المجتمع الجوّاري عبارة عن مجتمع محدد العدد فوق أرض محدودة المساحة، يؤدي معظم أفرادها نشاطاً اقتصادياً رئيسياً محدد، وقد يكون النشاط الرئيسي تجارياً فيصبح المجتمع تجارياً، وقد يكون النشاط الرئيسي حرفياً، وهكذا ينسب المجتمع إلى الحرفة أو النشاط الذي يمارسه معظم أفرادها كحرفة رئيسية أو كنشاط.⁸

- المجتمع الجوّاري هو جماعة من المواطنين يعيشون في بقعة أرض ذات حدود جغرافية وإدارية محددة، يكونون جماعة مترابطة تمام الارتباط بفضل إشراك أفرادها في مجموعة من التصورات والقيم المشتركة، ولكل منهم مركز اجتماعي خاص ودور محدود يؤديه، ويتبعون في ذلك نظاماً اجتماعياً مشتركة تعينهم على مواجهة احتياجاتهم الضرورية، بما فيها من وسائل عمرانية أو نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية.⁹

- يتمثل المجتمع الجوّاري في حيز من الحياة المشتركة، قد يكون قرية أو مدينة أو محافظة أو دولة، ولكي يكون هذا الحيز جديراً بهذه الصفة، أي أن يطلق عليه مجتمع جوّاري، يتعين أن يكون متميزاً عن غيره من المجتمعات إلى حد ما، وأن يكون للحياة المشتركة فيه خصائص تقتصر عليه وحده، بحيث يجعل لهذا الحيز حدوداً بهذا المعنى، وهذا الحيز بما يتوفر فيه من عوامل فيزيائية أو بيولوجية أو نفسية يؤدي إلى وجود تشابه بين الأفراد الذين يعيشون داخل هذا الحيز بعضهم مع بعض ومن اجتماع الأفراد ومعايشتهم لبعضهم يشكلون بطريقة ما وإلى درجة معينة خصائص مشتركة تميز أنماط سلوكهم وأساليب حياتهم.¹⁰

المدلول الإجرائي للمجتمع الجوّاري:

هو مجموعة من الناس تعيش في منطقة جغرافية متجاورة، نشأت بينهم علاقات اجتماعية وثقافية معينة أدت إلى وجود مجموعة من المؤسسات والمنظمات الاجتماعية، وإلى وجود أهداف اجتماعية مشتركة، ومن خلال نشاط هذه المؤسسات وتعاون الأفراد والجماعات يستطيعون توفير الخدمات التي تشبع احتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية اللازمة لرفاهيتهم وتشعرهم بالانتماء والولاء للمنطقة التي يعيشون فيها.¹¹

خصائص المجتمع الجوّاري:

1- المكان أو الإقليم المحدد:

يتحدد المجتمع بالضرورة بموقع وأماكن محددين، وتعين حدود المجتمع المحلي أو تثبت عن طريق ما تمارسه جموع السكان من نشاطات، ومن ثم يشير المصطلح عادة إلى منطقة محددة ذات خصائص طبيعية أو مصطنعة وفريدة ومتميزة.

2- الاستقلال والاكتفاء الذاتي:

3- يمثل المجتمع جماعة من الأفراد مكثفية بذاتها، ففي إطار المجتمع الجوّاري وحدوده يعتمد الأفراد على بعضهم للقيام بالوظائف الأساسية، كما ترتبط الأهداف الجماعية والنشاطات الفردية بتنوع واسع النطاق من الاحتياجات والمصالح، فكان المعيار الأساسي للمجتمع الجوّاري إذن هو قدرته أن يستوعب داخل حدوده كل حياة الفرد وعلاقاته الاجتماعية وأوجه النشاط.

4- الوعي الذاتي:

5- تعد خاصية الوعي الذاتي أو الوعي بالذات Self awareness من أهم الخصائص المميزة للمجتمع الجوّاري، وتتضمن الاعتراف المتبادل بين الأفراد إلى جانب الشعور بالانتماء والتميز.

6- القيم والمعايير المشتركة: والتي تعتبر من أهم ما يميز المجتمع الجوّاري عن أشكال التنظيم الاجتماعي هو ما يسوده من أنساق خاصة القيم والمعايير إذا ما تعاد صياغته العديد من القيم في الثقافة الكبرى في ضوء الرموز والأحداث ذات الدلالة والمغزى.

III- العمل الجوّاري:

إن العمل الجوّاري تتمثل أهميته في إحداث تقارب بين الإدارة والمواطن، فهو يشبه إلى حد ما استراتيجية إعلامية أو اتصالية مخطط لها تهدف إلى إحداث تقارب وفهم لانشغالات المواطنين الحقيقية باستعمال الوسائل الاتصالية والإعلامية الوسيطة كالمرفق العمومية ووسائل الإعلام الجماهيرية.

ومن الملاحظ في نجاعة وحسن سير العمل الجوّاري أنّ المواطن ينظر إلى الإدارة المحلية (المؤسسة الجوّارية) على أنّها الشريك الدائم في المصلحة العامة، غير أنه في كثير من الأحيان لا يتقبل صرفه أو إبعاده عندما لا تلي المؤسسات الواقعة ضمن مجاله الجغرافي احتياجاته بصدر رحب، فيعمد بذلك إلى بعض المظاهر السلبية كالسب والشتم والابتعاد عن الإدارة وأعوانها مفسداً بذلك طريقة الحوار التي يقتضيها الاتصال الجوّاري.¹²

* تعريف الاتصال الجوي:

من الملاحظ أن هناك تباين في المفاهيم المقدمة حول الاتصال الجوي، فكل يعرفه حسب مجال تخصصه أو من منطلق الدراسة التي قام بها حول إحدى النشاطات الاتصالية التي تستعمل المجال الجوي أو تدور حوله، وهذه بعض التعاريف التي جاءت في هذا الشأن:

أ- تعريف ذو بعد جغرافي :

الاتصال الجوي هو نوع من أنواع الاتصال محدود النطاق يختص باهتمام منطقة جغرافية معينة تمثل مجتمعاً جوارياً (محلياً)، ويشمل انعكاساً واقعياً لثقافة ذلك المجتمع مستهدفاً خدمة احتياجات سكانه ومحققاً تفاعلهم ومشاركتهم.¹³

ب- تعريف ذو بعد اجتماعي :

يعرف الباحث المختص في الشأن الاجتماعي جورج لاندبرغ Jorge Landberg الاتصال الجوي بأنه "نمط من أنماط الاتصال الاجتماعي الذي يقوم في الأساس على تعايش عدد من الاتصالات مع بعضها البعض"¹⁴، ورغم أن هذا التعريف سليم من الناحية الميدانية، إلا أنه يبقى بحاجة إلى تدقيق أكثر، حيث يُجْزَى التمييز بين الاتصال الاجتماعي المفتوح على الجماهير، وبين الاتصال الأفقي الذي تكون فيه الإدارة أو المؤسسة طرفاً مرسلاً لرسائل اتصالية أو إعلامية إلى الجماهير العريضة.

ج- تعريف ذو بعد تقني:

يعتبر الاتصال الجوي عملية تقنية تنظم المصلحة العامة وتقرب الفهم أمام المواطن والإدارة، فإذا كان العمل الجوي يقصد به كل نشاط فكري أو مادي ملموس كوجه من أوجه التقرب من انشغالات المواطنين باستعمال وسائل الإعلام المباشرة وغير المباشرة لحماية المجتمع، فإن الاتصال الجوي هو نقل لذلك العمل، باستعمال تقنيات وسائل الإعلام والاتصال.¹⁵

د- تعريف ذو بعد إقناعي : يعرف فرانسيس بال Francis Balle الاتصال الجوي بقوله: "هو ذلك الشكل من أشكال الاتصال الذي يترتب عنه إقامة حوار وتفاعل بين مختلف المتعاملين والفاعلين والجمهور في المجتمع بهدف الإقناع وبعث حلقة الثقة التي قد تكون مفقودة في الاتصال بين كل ما يرمز لدولة ما من مؤسسات وقطاعات والمواطن، وحتى بين المواطنين فيما بينهم ثم في الأخير بين الحاكم والمحكوم".¹⁶

هـ- تعريف ذو بعد توعوي- تحسيسي :

هناك تعريف آخر للاتصال الجوي قدمه أحد الباحثين الفرنسيين في هذا الميدان وهو مدير المجلس القومي الفرنسي لثمين البحوث والدراسات العلمية جون مارك غويب Jean-Marc Geib يقول فيه أن الاتصال الجوي "هو تلك الآلية الاتصالية التي تسمح بتنفيذ وتأدية مهمة أو مهام تحسيسية ووقائية في نفس الوقت، تمكن من أخذ زمام المبادرة والاتصال (إعطاء معلومات) بالمواطن من خلال التقرب منه بالتوعية والتوجيه، وهذا السلوك في حد ذاته من شأنه جلب وإعطاء هبة ومصادقية للمؤسسات وتقريبها من الجمهور".¹⁷

و- تعريف ذو بعد حديثي :

الاتصال الجوي أو اتصال القرب كما يطلق عليه الباحث البريطاني أليكس ماكويل Alex Mucchiell هو "وسيلة تقوم على تتبع الأحداث وإذاعتها، ويرتبط بشكل مباشر بمواطني المنطقة الجغرافية التي توجد فيها المؤسسة أو الإدارة حيث يمكن لها أن تلتقي بهم بسهولة كبيرة في الشارع أو المحيط الخاص بها، وفي هذه الحالة يتطلب الاتصال الجوي عموماً القيام بنشاطات وأحداث اتصالية من أجل خلق تواصل دائم بين المؤسسة وجمهورها داخل محيطهما المشترك".¹⁸

❖ إلى جانب كل هذا هناك أيضا من يعطي تعاريف أخرى للاتصال الجوي على غرار الدكتور أبو صاغ الوافي الذي يعرفه على أنه " لون من ألوان الاتصال يهدف إلى خلق تواصل وإقامة عمل تقاربي من شأنه بلوغ هدف سامي يتمثل في إنشاء علاقة وطيدة بين الإدارات والمواطنين ضمن بيئة معينة ".¹⁹

❖ بينما يعرفه الباحث الفرنسي في مجال الاتصال الإقليمي والمؤسسي جون فيليب غاردار Gardère Jean-Philippe بأنه: " العملية التي تقوم على تلبية الحاجات والمتطلبات الاتصالية والإعلامية لجمهورها مهما كانت طبيعة الروابط التي تجمع بين أعضائه: جغرافية، لغوية، دينية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية (عمرية - جنسية - مهنية)... إلخ ".²⁰

❖ أما دليل الشبكة الأوروبية للاتصال الجوي (RECP) سنة 2006 فقد عرفه على أنه:

" أداة فعالة تهدف إلى إحداث تقارب بين الإدارة والجمهور، فهو عنصر مهم جداً في الاستراتيجية الاتصالية والسياسة الإعلامية للمؤسسات "، حيثُ تطرق أيضاً إلى إبراز الوسائل الاتصالية والإعلامية الوسيطة كالمرافق العمومية ووسائل الإعلام الجماهيري.²¹

III - تطور الاتصال الجوي في الجزائر:

يمكن أن نصنف تطور الاتصال الجوي في الجزائر إلى ثلاثة مراحل كبرى كالتالي:

أ. المرحلة الأولى: ما قبل التعددية: (1962-1988): في عهد الأحادية الحزبية أي منذ الاستقلال إلى غاية أكتوبر من عام 1988 كانت السلطة في الجزائر تعتمد على المنظمات الجماهيرية كوسيلة من الوسائل الفعالة لربط اتصال وثيق بين القمة والقاع، لكن بالإضافة إلى ذلك كانت هناك أعمال تقاربية جوارية تقوم بها بعض مؤسسات الدولة وقطاعاتها على غرار المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية... إلخ، على قلتها بأبعاد وأهداف إستراتيجية للحد من انحراف الشباب وخاصة فئة الأحداث منهم، فكان مثلاً في بداية الثمانينات أن خططت وزارة الداخلية (المديرية العامة للأمن الوطني) لاعتماد بعض الطرق والوسائل الجوارية في الاتصال التي تعفيها وتقيها من المضي في معاقبة الشباب المعرض للخطأ والانحراف يومياً، عن طريق إيجاد إطار وجو يعفي هذا الشباب من الوقوع في المحذور الذي يعاقب عليه القانون، فكانت تلك هي البوادر الأولى للعمل الجوي المبني على الاتصال القريب والمباشر مع المجتمع والتجربة الرائدة بمساعدة البلديات ووزارة الشباب والمنظمة الوطنية للشبيبة الجزائرية، التي أثمرت من خلال عدد من النشاطات كالدورات الرياضية في كرة القدم ببعض أحياء العاصمة التي تعرف ارتفاعاً في نسب العنف والإجرام بإقبال جماهيري منقطع النظير، على أن تعمم العملية على المستوى الوطني، باعتبار أن هذه الشريحة آنذاك كانت تمثل 60% من إجمالي عدد سكان الجزائر.²²

كما كان على جميع القطاعات الأخرى في الدولة أن تولي اهتماماً خاصاً بهذه الشريحة من الشباب بالتفكير في المحيط الذي يجب أن تنمو فيه هذه الفئة في ظروف جيدة تسمح في الأخير لقطاعات الدولة بالاستغلال الأمثل للطاقات الشبابية التي تتوفر عليها.²³

وإن كان هذا النموذج المثل المشار إليه أعلاه واحداً من الأمثلة الحية للاتصال الجوي كوسيلة تقارب شكلت حقاً ولو لفترة قصيرة نجاحاً، وصورة حية من صور العصرية التي يلتقي فيها الشاب بالشرطي فيكون هذا الأخير حامٍ وليس قاصراً له، فإن هناك أيضاً أمثلة أخرى عن ظهور الاتصال الجوي في مؤسسات وقطاعات مختلفة من الوطن خلال هذه الفترة، كقطاع الصحة مثلاً حيث وفي سنوات السبعينيات سعت الدولة إلى تعريف وتقريب فكرة مدى فائدة التلقيح والتطعيم الصحي للأطفال الرضع من سن الشهرين وإلى غاية سن السادسة على النمو الصحي والسليم للأطفال من خلال وضع برنامج جوي للاتصال يقوم على طرق الأبواب والتقرب من الأسر في بيوتها لشرح فوائد التلقيح، غير أن هذه الصور المتعددة

للاتصال الجوّاري في بداياته وإن وجدت حقاً فإنها لم تعمر طويلاً بسبب غياب إستراتيجية اتصالية مخطط لها بدقة من طرف الدولة، لأنّ تلك الصورة وذلك الواقع في الحقيقة لم يكن واقع الواجهة المسير وليس جوهر الحقيقة وهدف من الأهداف الإستراتيجية الدائمة للدولة في قيادة المجتمع وتسييره.

إنّ من أهم ما يمكن استخلاصه مما سبق من أمثلة وتجارب أنّ طبيعة الاتصال الجوّاري في هذه المرحلة كان ذا أهداف ظرفية آنية، الهدف منه امتصاص مطالب فئات معينة (شريحة الشباب مثلاً) أو خلق وظائف لمصالح لم تكن موجودة من قبل كمصلحة التلقيح والإطعام التي عرفت النور مع نهاية سنوات السبعينيات وبداية عهد الثمانينيات.

وعلى أية حال فإنّ العمل الجوّاري بوصفه وسيلة للاتصال في هذه المرحلة، اتسم بمظهرين:

1- المظهر الأول : هو ارتباطه بالمنظمات الجماهيرية التي أنشأت من أجل التعبئة الجماهيرية من جهة، وكي تشكل حلقة وصل بين السلطة والمجتمع من جهة أخرى. وعرفت التجمعات المختلفة للتطوع والكشافة والخرجات الترفيهية الشبابية أسمى مظاهر التجنيد والاستعداد للمساهمة في حركات التنمية والتطور التي سعت إليها الدولة في هذه المرحلة.

2- المظهر الثاني : وجاء على أنقاض التطورات التي حصلت في المجتمع حيث أصبحت المنظمات الجماهيرية غير قادرة على احتواء مختلف الشرائح في المجتمع لاسيما شريحة الشباب التي لم تعد مقتنعة بمجرد الخطابات والنشاطات المختلفة والمتنوعة دون ثمن (التطوع، التنزه، الرحلات الكشفية، العطل الصيفية... إلخ)، والتي لا يمكن أن تحل محل الوظيفة والعمل الدائم حيث كان من بين مليون بطّال سنة 1987، 60% تتراوح أعمارهم بين 15 إلى 24 سنة²⁴ فكان أن قامت بعض مؤسسات الدولة والوزارات المعنية وكذا السلطات المحلية على التعاون والتفكير في حلول آنية تستقطب اهتمام هؤلاء الشباب في أحيائهم ودخل محيط حياتهم اليومية، لكن العمل الجوّاري الذي أقيم في هذه المرحلة ولو أنه أدى مفعوله النسبي إلّا أنّ المرحلة والوضع العام وفقدان استراتيجية محكمة التخطيط للاتصال وتنمية الآفاق المستقبلية جعلت أبعاد هذا العمل قصيرة المدى، وحتى الحلول المحتشمة لامتناس بعض المشاكل كمشكل البطالة لم تكن قادرة على مواجهة التغيرات الهامة التي عرفت الأسرة الجزائرية على المستوى الاجتماعي والديمقراطي في هذه المرحلة، حيث انتقل عدد العائلات من 2.3 مليون غداة الاستقلال إلى 3 ملايين سنة 1987.²⁵

ب- المرحلة الثانية : عهد التعددية: (1988 - 1997): وهي المرحلة التي باشرت عهد التعددية وعرفت عدة تطورات حيث حاولت فيها الدولة تدارك ذلك الفراغ الفضيح في مجال الاتصال، ففي الوقت الذي تم تحرير قطاع الاتصال واعطاء الفرصة للقطاع الخاص خاصة في مجال الصحافة المكتوبة، حاولت أجهزة الدولة وعلى أعلى المستويات وضع برنامج عمل انطلاقاً من الوضعية المعاشة نحو آفاق مستقبلية، ويمكن حصر أهم أهداف هذا البرنامج فيما يلي²⁶:

1. تحسين ظروف مجالات الاتصال.
 2. إعادة تجديد الترتيبات التشريعية والقانونية الحالية، واقتراح نصوص قانونية جديدة تكون مطابقة للأوضاع السياسية والاقتصادية الاجتماعية الجديدة والسائدة في البلاد.
 3. تصفية وإعادة تنظيم هيئات ومؤسسات الاتصال العمومية ومختلف النشاطات المتعلقة بالقطاع.
- وكان الهدف من تطبيق هذا البرنامج هو وضع القواعد الأساسية التي تسمح للمواطن من الحصول على إعلام متنوع، متعدد، موضوعي، مسؤول، وجامع، وهي الشروط الضرورية من أجل أحسن تحسيس وأكثر تعبئة حول الأهداف المنشودة لما يسمى بالمرحلة الانتقالية.

وبغض النظر عن الجوانب السياسية والإيديولوجية التي تحيط بكل منظومة اتصالية وإعلامية في عملية الاتصال، فإنّ الجميع في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر كان متفقاً بأنّ الإعلام وبصفة أكثر شمولية الاتصال لاسيما الاتصال الجوي الذي أخذ في الظهور والتنامي أكثر فأكثر في هذه المرحلة، يشكل واقعاً حضارياً وعصرياً غاية في الأهمية كونه خاصية مميزة للاتصال الشخصي الذي يعد أكثر أنواع الاتصال فاعلية وتأثيراً على الجمهور، والمغامرة بتجاهل أو تفادي هذه الحقيقة في الوقت الذي تمّ فيه إظهار النية للمضي قدماً اتجاه مجتمع ديمقراطي تعتبر صفة الجوارية والعمل الجوي المبني على التواصل المخطط والسليم أبرز سماته، يعني ببساطة وضع كل مجهود يرمي إلى تقوية السيادة الوطنية تحت وطأة الأوهام.

✓ الاعلام الجوي:

شهد العمل الجوي بشقيه الاعلامي والاتصالي توسعاً حيث عمد القائمون على شؤون البلاد والمختصين في الشأن الاتصالي بإدراج كلاً من الإعلام والاتصال الجوي كحركة فعّالة في تحقيق تقارب بين السلطة ومؤسساتها والشعب بصفة عامة على مستوى نطاقات جغرافية محددة بعينها، ويبرز ذلك من خلال تفعيل نشاط الاعلام والاتصال في بلوغ الأهداف المسطرة والمرجو تحقيقها على غرار:

- توظيف الصحافة المكتوبة في العمل الجوي.
- خلق خلايا للاتصال الجوي عبر الولايات (تفعيل دور الاتصال المحلي عبر التأسيس لصحافة جوارية تزودها خلايا الاتصال).

- إنشاء محطات جهوية للتلفزيون.

- المحطات الجهوية للإذاعات المحلية.

2- أما على مستوى الاتصال الجوي:

عرفت هذه المرحلة تأسيس هياكل الاتصال على المستوى المحلي تقوم بخلق وتطوير:

- خلايا الاتصال على مستوى البلديات.

- تنسيقية للاتصال على مستوى جهوي.

2- تقنيات الاتصال الجوي المعتمدة من طرف الحكومة في هذه المرحلة: عرفت هذه المرحلة من حياة الجزائر ظروفًا اقتصادية واجتماعية وأمنية صعبة، جعلت الحكومة تخرج من نطاق التفكير في عمل جوي إلى تطبيق وسائل وآليات ملموسة للاتصال الجوي تساعد على تجاوز هذه العقبات التي شكلت تهديداً حقيقياً للجزائر وأمنها واستقرارها وتطورها، إذ سعت الحكومة إلى تحديد طرق وتقنيات الاتصال الجوي عن طريق الأخذ بعين الاعتبار الأولوية في النشاطات المختارة، وطبيعة الجمهور المستهدف وبالتالي تكون عملية الاتصال الجوي على النمط والشكل التالي²⁸:

- الخطابات (للأئمة، برنامج، إحتفال...الخ).

- الزيارات (الرسمية، التفقدية، زيارات العمل...الخ).

- اللقاءات (الملتقيات الإجتماعية، الأيام الدراسية، الأبواب المفتوحة والحملات...الخ).

- الندوات الصحفية.

- المناقشات (الاستجوابات الصحفية).

- المؤائد المستديرة.

- المناشير الرسمية (الجريدة الرسمية، مذكرات العمل، النشرات الوزارية...الخ).

- الإشهار (الإعلانات) المعتمدة على نطاق محلي وجهوي.

3- تقييم عمل الاتصال الجوّاري في هذه المرحلة:

لقد برز فعلا سعي الحكومة في هذه المرحلة الحساسة إلى تجسيد الحد الأدنى من الآليات والاستراتيجيات الاتصالية بشكل عام وتقنيات الاتصال الجوّاري على وجه الخصوص من خلال ما رأيناه من أنماط وأشكال مختلفة تعبر عنه، إلا أن الحديث عن تقييم شامل وعميق لهذا النمط الاتصالي بالتحديد كان لا يزال بعيدا عن التحقيق، فرجع الصدى، أو التأثير أو بلوغ الهدف، من الصعب جدا قياسه في الجزائر، بسبب غياب الوسائل والأدوات التي تسمح بالقياس الكمي والكيفي (استطلاع الرأي، التجارب، التحقيقات الميدانية... الخ).

والخلاصة التي وصلت إليها الحكومة نفسها في هذا الميدان هو أن البحث في الاتصال يشكل مجال خصب للترقية سواء كان ذلك من حيث الوسائل التقنية، المادية أو من حيث الإمكانيات البشرية المختصة، كما أن التحرك والنشاط في مجال الاتصال يشكل أحد أهم أولويات الدولة. وهذا يتطلب وضع وبرمجة عدة إجراءات تشريعية في مجال الاتصال، سواء كان ذلك على المدى القصير، المتوسط أو المدى الطويل، فإن كل نشاط يتعلق بالاتصال يجب أن يكون مهيكلا ومخطط ليكون فعالاً ويعود بذلك في المقابل بردود فعل ملموسة من قبل المواطنين لتحسين برامج العمل في هذا المجال على مستوى مختلف هياكل وإدارات البلد²⁹. وباختصار شديد فإن هذه المرحلة اتسمت بشبه توجه نحو توفير شروط لإقامة الاتصال الجوّاري.

3- المرحلة الثالثة (1997- وحتى يومنا هذا): وهي المرحلة الحالية التي لا زالت تعيشها الجزائر اليوم والتي بدأت منذ سنة 1997، واتسمت بشبه حركية نحو تفعيل جملة من النشاطات والإجراءات في مجال العمل والاتصال الجوّاري، والتي يمكن إبرازها فيما يلي:

أ- الملتقى الوطني حول الاتصال والخلايا الجوّارية: والذي انعقد بسبيلدي فرج يومي 13 و 14 أكتوبر 1997 تحت شعار "التضامن: شعور بالمواطنة"، وأهم التوصيات التي خرجت بها الورشات الثلاث التي عملت طوال هذا الملتقى، نوجزها فيما يلي³⁰:

- إنشاء شبكة لخلق ودعم وتطبيق النشاطات الجوّارية عبر المجتمع المدني خاصة عبر الحركة الجمعوية والقطاع الخاص.
- تحديد مجال نشاط خلايا الاتصال الجوّارية.
- تحديد الإجراءات اللازمة لوضع حيز لتطبيق الخلايا الاتصالية الجوّارية.
- تحديد القائمين على إنشاء الخلايا الجوّارية (المجتمع المدني، المنتخبين المحليين).
- تحديد الكيفية التي يتم من خلالها تمويل برامج ومخططات الاتصال الجوّاري والخلايا الجوّارية، وكيفية تقييم أعمالها.
- المعاينة، خلال جلسات الورشات، بأن هناك نقصاً فادحاً في مجال الاتصال بصفة عامة والاتصال الجوّاري (الاجتماعي) بصفة خاصة رغم توفر المجتمع على مختلف قنوات الاتصال والإعلام التقليدية منها والعصرية المتعددة والمتسوّعة.
- تحديد شبكة الاتصال للخلية الجوّارية (الإدارة، المستفيد، الجمعيات وعامة المواطنين).
- ترقية دور الوسيط الاجتماعي في برامج الخلية الجوّارية خاصة في مجال الاتصال الاجتماعي.
- توحيد تسمية "الخلية الجوّارية" واعتمادها ترجمة رسمية لمصطلح "cellule de proximité" وشرح مهام هذه الخلية لدى الجمهور العريض بتنظيم أيام إعلامية ودراسية على مستوى محلي.
- استعمال، بشكل موسع، مختلف وسائل الاتصال الجماهيرية والتقليدية في شرح المبادرات والمشاريع التي تعتمدها الخلية الجوّارية للاتصال (الورشة، المصنع، العمارات، المسجد، الأسواق، الاتصال الشخصي).

ب- مشروع المرسوم التنفيذي الخاص بالإجراءات التطبيقية، لإنشاء تنظيم وعمل الاتصال الجوّاري ممثلاً في الخلايا الجوّارية التي بدأت تعرف النور كمشروع واعد بداية من 05 أوت 1998 من طرف وزارة التضامن الوطني والعائلة. وفي الوقت الذي لم يجلب المشروع أي تحفظ فيما يخص الحاجة إلى إنشاء خلايا جوّارية، فإن وزارة المالية ووزارة الداخلية أبدت ملاحظات فيما يخص تمويل هذه الخلايا.

- حيث تشير المادة (14) في مشروع المرسوم بأن الموارد المالية اللازمة لتسيير الخلايا الجوّارية تكون على عاتق ميزانية الدولة، الولاية، البلدية ووكالة التنمية الاجتماعية. إلا أن الوزارة المكلفة بالميزانية تعتبر بأن هذه الكلفة تقع على عاتق الدولة وخاصة أن الحالة المالية للبلديات في تلك الفترة متدهورة.³¹

ج- من بين الإجراءات المسطرة من طرف الدولة لتفعيل حركة الاتصال الجوّاري في المؤسسات خاصة مؤسسات الدولة منها نجد كذلك:

- المصادقة على المرسوم التنفيذي رقم 2000/37 المؤرخ في 7 فيفري 2000 المحدد لإجراءات إنشاء، تنظيم، وسير الخلايا الجوّارية والتضامنية³² والذي من بين أهم ما جاء في هذا المرسوم ما يلي:

- الخلية الجوّارية والتضامنية عبارة عن جهاز مكلف بترقية التنمية الجماعية بكل عمل يدخل في مجال نشاطاتها وخاصة:

* المساهمة في تأطير الفئات المحرومة، بالاتصال مع السلطات المحلية والحركة الجمعوية.

* المشاركة في تفعيل ومردودية الوسائل البشرية والمادية فيما يخص الحماية الاجتماعية والتضامن.

* تقريب المواطنين الذين لهم الحق في الخدمات العمومية من المصالح المعنية ومساعدتهم على قراءة وفهم القواعد والإجراءات المعمول بها.

* إعداد الاقتراحات التي يمكن أن تدمج في البرامج التنموية للدولة، الولاية أو البلدية.

* تتدخل خلية الاتصال الجوّاري لتحسين أوضاع الحياة اليومية للمواطن في محيطه المباشر وخاصة في ميادين: التربية، والوقاية والتغطية الصحية، الدعم المدرسي، والإدماج الاجتماعي والمهني، التنشيط الثقافي والرياضي، النشاطات ذات الطابع النفسي والاجتماعي، والمساعدة، والدعم، والتوجيه والإعلام.

من خلال ما تم استعراضه في هذا العنصر الخاص بتطوير الاتصال الجوّاري في الجزائر، يمكننا الوقوف على الملاحظات التالية:

1/ غياب الديمومة لمختلف النشاطات التي كانت تمثل العمل والاتصال الجوّاري، وذلك بسبب كونها أعمال ظرفية كثيراً ما فرضها الضغط الشعبي.

2/ غياب العمل الجوّاري كخيار واختيار إستراتيجي ليكون وسيلة إتصال لأهداف منسقة من أجل التنمية المستدامة.

3/ غياب الإرادة السياسية التي تحظى بالدعم المادي وما يمكن أن يتطلبه من تمويل العمل الجوّاري وربط هذا الأخير بالتضامن بدلاً من ترقّيته مع التطورات الاجتماعية السريعة الحاصلة في المجتمع في إطار ثقافة المواطنة، ليكون تجسيده إستجابة لرغبات وحواجز نفسية وقناعات فكرية تحظى بدعم أعلى سلطة في البلاد.

4/ الاتصال الجوّاري بالصورة والنظرة والخلفية التي جاء بها المرسوم رقم 2000/37 سوف يكون أسير مصطلح التضامن بالرغم مما يحمله هذا الأخير من سمات. في الوقت الذي يحتاج المجتمع والدولة اليوم إلى أكبر من ذلك، إلى عمل جوّاري يحمل في طياته هدفاً إستراتيجياً شاملاً لتجسيد الاتصال بكل ما يقدمه للتنمية الشاملة في مجالات وميادين عدة.

خاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية نخلص إلى أنَّ الأوضاع الصعبة التي مرت بها الجزائر نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، خلق لديها الوعي بأهمية الاتصال الجوّاري في إقامة قنوات اتصال مفتوح وواضح وحالي من أي تشويه أو معوقات قد تزرع الشك وعدم الثقة في نفس المواطن اتجاه الإدارة المحلية، وبالرغم من الجهودات الحثيثة التي باشرت الحكومة فعليا منذ منتصف الثمانينيات في ترسيخ مبدأ حسن العلاقة بين المواطن ومؤسسات الدولة وقرّبها منه، إلّا أنَّ الاتصال الجوّاري في الجزائر وإلى اليوم، لا يتعدى واقعه تلك المساهمات البسيطة (المرسلة والمستقبلة) عبر وسائل الإعلام، ولم يرقى بعد إلى المفهوم الحقيقي للاتصال بالقرب الذي يترتب عنه إقامة حوار واتصال مباشر بين مختلف المتعاملين والفاعلين في المجتمع، وما هو موجود اليوم لا يتعدى مجرد تبادل المراسلات وإقامة الاجتماعات، أو في أحسن الظروف تنظيم أيام دراسية وملتقيات وأبواب مفتوحة تكون في أغلب الأحيان دون متابعة أو تقييم.

- الهوامش.

- 1- أنظر لسان العرب لابن منظور، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 2006.
- 2- أنظر أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008.
- 3- أنظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004.
- 4- أحمد مختار عمر، نفس المرجع السابق، ص 106.
- 5- معين خليل عمر، معجم قاموس علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، 2006.
- 6- Clarence J. Berry, Neighboring and city planning, the University of Toledo, Ohio, microform edition, 1986.P.134.
- 7- نصر الدين العياضي، إشكالية المحلي في علاقة وسائل الاتصال بالمجتمع، المحلة الجزائرية للاتصال، العدد 15، الجزائر، 1997.
- 8- نصر الدين العياضي، نفس المرجع السابق، ص 72.
- 9- مسعودة جودي، تجربة الإعلام المحلي في الجزائر: الإذاعات المحلية نموذجاً، مذكرة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2002 / 2003.
- 10- فاروق مدّاس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 231.
- 11- طارق سيد أحمد، الإعلام المحلي وقضايا المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2004.
- 12- Jean-Marc Geib, « Des concepts à la pratique de la communication », 2ème édition, collection Inter-éditions, Dunod, Paris, 1999.
- 13- BELLET M., KIRAT T., " La proximité, entre espace et coordination", Approches multiformes de la proximité, Hermès, Paris, 1998.
- 14- Thierry Libaert, et Marie-Hélène Westphalen, « Communicator : Toute la communication d'entreprise. », sixième édition, Dunod, Paris, 2012, P.P 108-111.
- 15- Québriac Elizabeth, « COMMUNICATION DE PROXIMITE : VERS UNE CONCEPTION TECHNIQUE, REFLEXIVE », VIe Colloque International, TIC & Territoire : Quels développements ? », 14 & 15 juin 2007, Université Jean Moulin, Lyon III, pp2-3.
- 16- Francis Balle, Médias et sociétés, LGDJ l'extenso éditions, 16^{ème} édition, Paris, 2013, P. 43
- 17- Jean-Marc Geib, « Des concepts à la pratique de la communication », 2ème édition, collection Inter-éditions, Dunod, Paris, 1999.

- 18- MUCCHIELLI Alex, Étude des communications : approche par la modélisation des relations, Éditions Armand Colin, Paris, 2004.
- 19- نبيل محمد صادق، العلاقات العامة في المؤسسات الاجتماعية، الدار المصرية للدعاية والنشر، القاهرة، 2004.
- 20- Gardère J-P., « Démocratie participative et communication de proximité dans l'aménagement urbain. Le projet urbain : un outil de reconquête de la démocratie ». Bordeaux, Thèse de doctorat, Université Bordeaux 3. 2006.
- 21- Réseau Européen en Communication de Proximité (RECP), « Communiquer sur l'Europe dans les régions et les villes », Rapport du Comité des Régions, Union Européenne, 2006.
- 22- أسبوعية الجزائر الأحداث رقم 919، من 26 ماي إلى 1 جوان 1983.
- 23- دوني فارو، إعلامي فرنسي، ملتقى حول الإعلام والاتصال الجوّاري في الجزائر منعقد بنادي إذاعة تلمسان، جانفي 2006.
- 24- محمد صايب مسات، تشغيل الشباب في المغرب العربي، محاضرة قدمت في الملتقى الدولي حول الشباب في إفريقيا، التأطير والدور في المجتمع المعاصر، جامعة باريس، ديسمبر 1990.
- 25- التقرير الوطني للندوة الدولية حول الإسكان والتنمية، القاهرة من 5 إلى 13 سبتمبر 1994، ص 57.
- 26- Ministère de la communication, Programme du gouvernement en matière de communication de proximité 1994.
- 27- صالح بن بوزة، السياسة الإعلامية الجزائرية 1962-1988، دراسة تحليلية للأخبار في جريدتي " الشعب " و " المجاهد"، رسالة دكتوراه دولة في الإعلام، معهد علوم الإعلام والاتصال، 1992.
- 28- صابر أيوب، "12 سنة تمر على نهاية الحزب الواحد"، مقال منشور بجريدة الحدث، العدد 30 / 1998.
- 29- Ministère de la communication, « la Communication gouvernementale », Alger, Décembre 1994.
- 30- Mohamed Brahimi, « La loi fondamentale : Constitutionnalisation des cellules de Proximités », revue recherche n° 93, Université d'Alger, 2000, P.36.
- 31- وزارة التضامن الوطني، الملتقى الوطني حول الخلايا الحوارية، سبتمبر 1998، ص.ص 64-69.
- 32- وزارة التضامن الوطني، نفس المرجع السابق، ص 71.